المجامر والمسارج

يتناول هذا الفصل الحديث عن المجامر والمسارج في العصرين القديم والإسلامي، لما لها من أهمية واضحة في حضارة الجزيرة العربية. وقد عثر على الكثير منها في الحفريات التي أجريت في بعض مناطق الجزيرة العربية.

المجامر في العصور القديمة

دلت الأبحاث الأثرية على أن الجزيرة العربية عرفت الاستيطان منذ فترة العصر الحجري القديم الأسفل. واستمر هذا الاستيطان حتى العصر الحجري القديم الأوسط، ثم اتصل بعد ذلك حتى ظهور العصر الحجري الحديث في الألف السابع ق.م. حين توصل الإنسان في الجزيرة العربية إلى الاستقرار وبناء المساكن وأماكن العبادة والمقابر ومعرفة الفخار وممارسة حرفة الزراعة. وعلى الرغم من ذلك لا توجد لدينا معلومات واضحة عن استخدام المجامر في الجزيرة العربية بشكل عام، وفي هذه المنطقة بشكل خاص في فترة العصور القديمة. ويرجع السبب في ذلك إلى أن التنقيبات الأثرية في المملكة وباقي أجزاء الجزيرة ما زالت في بداياتها، كما أن المادة الأثرية المتوافرة لدينا حتى الآن، مع أنها اكتشفت عن طريق التنقيبات الأثرية في مواقع مختلفة بالجزيرة إلا، أن التقارير الأولية لتلك الحفريات لا تعطينا صورة واضحة عن استخدام المجامر سواء في الجزيرة العربية بشكل عام أو المملكة على وجه الخصوص، في فترة العصور القديمة، أي في الفترة ما قبل ١٥٠٠ق.م.

والجزيرة العربية عرفت استخدام المواد العطرية وحرقها منذ زمن بعيد. وقد اختصت بعض مناطقها بإنتاج المواد العطرية التي احتلت مكانة في العالم

القديم، إذ كان استخدامها جزءاً من الطقوس الدينية في ديانات المناطق الحضارية في الشرق الأدنى ودول البحر المتوسط.

وقد انتشر استعمال الدخون وحرقه في المجامر في العالم القديم، خاصة في مراسم الدفن والحفلات الدينية وعند تقديم القرابين إلى المعبودات في المعابد. وكان استعمال المجامر لحرق الدخون معروفاً في مصر القديمة، إذ يحمل الكهان المجامر ويحرقون فيها الدخون عند الاحتفالات الرسمية ومواسم الأعياد أثناء الخدمة الدينية في المعبد، وترجع أقدم المجامر التي عثر عليها في المقابر إلى الأسرتين الخامسة والسادسة. والأداة الشائعة لحرق الدخون في مصر القديمة هي مجمرة تتكون من قضيب من المعدن على شكل ذراع ويد بشرية تقبض على إناء نصف بيضي تظهر فيه كرات الدخون المشتعلة. كما أن هناك مجامر مصرية أخرى أقل شيوعاً من هذه المجمرة، وهي على شكل طبق نصف دائري أو شبه منحرف مقلوب. وقد عثر في المعبد المصري بسرابيط الخادم على مذابح البخور وهي شديدة الشبه بالمذابح السامية القديمة، خاصة التي كانت تستخدم عند العبرانيين، وتشبه أيضاً مذابح البخور القديمة في جنوب الجزيرة العربية. وفي وادي الرافدين استعمل الآشوريون والبابليون الخشب والمادة الصمغية المستخرجه منه دخوناً، بالإضافة إلى استخدامهم كثيراً من المواد العطرية في أغراض مختلفة، كالطب وتقديم القرابين وفي العطور والكهانة والصرافة. وتصنع المجامر في وادي الرافدين غالباً من الصلصال أو من الأحجار المختلفة. وكذلك تذكر النصوص التاريخية محارق الدخون الذهبية التي أقيمت لمردوك في عصر آشور بانيبال. كما وجدت المجامر ذات الأصل الأجنبي طريقها إلى آشور.

وقد تطورت في سوريا وبلاد ما بين النهرين أشكالٌ تقليدية من المجامر، بعضها استعمل لفترة قصيرة من الزمن وبعضها استعمل طوال تاريخ المنطقة. ومن أشكال المجامر في سوريا وبلاد ما بين النهرين، المجامر على شكل الصندوق، أو الدولاب، وهو الأكثر شهرة. وهناك أيضاً قاعدة أو منضدة العبادة الأسطوانية الفخارية التي تعمل كحامل لزبدية بها دخون في أعلاها. كما توجد المجامر المكعبة الشكل المعروفة جيداً في الجزيرة العربية، ثم المجمرة على شكل الزهرية ومنها أشكال عديدة.

وأخيراً ما يعرف بمسرجة أو مصباح البخور، وهي نوع من المجامر الصلصالية لحرق البخور عثر عليه في أوغاريت.

المجامر في عصر الممالك العربية

كان للدخون والتجمير دور كبير عند العرب في أداء الطقوس الدينية في المعابد وعند تقديم القرابين والنذور للآلهة. وقد عرفت مناطق جنوب الجزيرة العربية ببلاد الدخون، وصدرت هذه السلعة إلى مختلف بلاد العالم القديم. فاستوردت مصر المواد العطرية من الجزيرة العربية في عصور قديمة وازداد الاستيراد في العصرين الهلينستي والروماني. وكان اللبان من السلع التي قدمتها القبائل العربية كجزية وهدايا لملوك وادي الرافدين. واقترن اسم اللبان المستورد في فلسطين بملكة سبأ في العهد القديم. كما احتل الدخون قائمة الهدايا التي قدمها العرب لداريوس ملك الفرس. كذلك ذكر هيرودوت أن كميات كبيرة من الدخون كانت تقدم إلى الإله لتحرق على مذبحه في معبد بابل الكبير.

والمجمرة والمجمر الموضع الذي يوضع فيه الجمر بالمدخنة للتجمير. ولا شك أن المجامر تشكل عنصراً مهماً من

شجرة اللبان التي تنمو في جنوب الجزيرة العربية وجنوبها الشرقي

عناصر اللُّقَى الأساسية في المواقع الأثرية بالجزيرة العربية بشكل عام، لما لها من اتصال مباشر بالعادات والطقوس الدينية. ويؤكد ذلك وجود المجامر في أماكن أثرية مختلفة، كالمدافن والمعابد والمناطق السكنية والأسواق وغيرها من المرافق الأخرى. ومرد ذلك بلا شك يعود إلى اهتمام المجتمع القديم في الجزيرة العربية بالدخون الذي تمثل تجارته لديهم عصب الاقتصاد والدخل. ولهذا أصبح الدخون والمجامر من سمات المعابد الوثنية في جزيرة العرب.

وقد عثر منقبو الآثار في المملكة العربية السعودية على نماذج عديدة من المجامر التي قدمت نذوراً إلى الآلهة. فالمجامر تعد من الهدايا المرموقة التي تقدم إلى الآلهة وتوضع في المعابد.

وأشارت النقوش العربية القديمة المكتوبة بالخط المسند الجنوبي إلى المجامر التي تحرق فيها أنواع البخور المختلفة. ومن الألفاظ التي تطلق على المجامر في النقوش «م ق ط ر»، «م ف ح م»، «م س و د»، «م ج م ر». كذلك وردت في أحد النقوش القديمة لفظة «ل ب ن هـ ن» أي لبؤان، وتعني وعاءين يحويان دخوناً. وتصنع المجامر غالباً من الحجر أو الحجر الجيري، بالإضافة إلى وجود مجامر مصنوعة من الفخار وأخرى من المعدن.

وفي جنوب الجزيرة العربية عثر في بعض المواقع الأثرية على مجموعة من المجامر الصغيرة والمربعة الشكل، معظمها مصنوع من الحجر أو الحجر الجيري.

وفي المملكة عثر المنقبون على عدد كبير من المجامر الحجرية والفخارية في مواقع أثرية متفرقة، مثل الفاو وثاج وتيماء والخريبة. وتمتاز تلك المجامر بالأشكال التقليدية المعروفة في الجزيرة العربية، وهي المجامر الصغيرة المكعبة الشكل ذوات الأرجل الأربعة، إلى جانب المجامر الكبيرة ذات الحوض المربع الشكل والقاعدة المخروطية.

ومن الجدير بالذكر أنه من خلال ما عثر عليه من مجامر في المنطقة التي سكنتها قيدار، يلاحظ أن استخدام محارق (مذابح) أو مجامر الدخون على الهياكل كان أحد ملامح حضارة قيدار، أو أحد ملامح الأماكن التي وصل إليها نفوذهم. ففي لكيش، التي يعتقد أن القيداريين حكموها، عُثر على ما يزيد عن مائتي مجمرة. ويذكر سترابو أن للأنباط مذابح في بيوتهم يسفحون عليها القرابين كل يوم ويحرقون البخور. والغالب أن الأنباط كانوا يحرقون البخور على المذابح إلى جانب استخدامهم للمجامر. وكانت المذابح النبطية غالباً من النوع الأقرن. وهي كثيرة العدد مقارنة بالمجامر، إذ لم يرصد من تقارير التنقيبات الأثرية في المواقع النبطية سوى عدد قليل من المجامر الصغيرة والعادية.

المجامر الحجرية. يوجد في الجزيرة العربية العديد من أنواع الأحجار القابلة للقطع والنحت، مثل الأحجار الجيرية والرخام والألبستر والحجر الصابوني والبازلت وغير ذلك. وقد استخدم

عرب الجزيرة هذه الأحجار في صناعة كثير من الأدوات، مثل أوعية حفظ مواد الزينة والأطباق. ومن الحجر الصابوني صنعت أواني الطبخ. وكذلك صنع من الحجر المجامر. وتعد المجامر الحجرية من المعثورات المهمة في المواقع الأثرية في الجزيرة العربية. فقد عُثر في موسم ١٩٥١م للتنقيبات في جبانة تمنع في جنوب الجزيرة العربية على مجموعة من المجامر المكعبة الشكل ذات الأرجل الأربعة. وكانت إحدى تلك المجامر من الداخل حجرية ومغطاة بطبقة من الجص، والأخريات في أغلب الأحوال من الحجر أو الحجر الجيري، ماعدا واحدة من الفخار، وهي الوحيدة التي لا توجد عليها آثار تزيين. وزخرفة تلك المجامر تضم نماذج مختلفة من التصاميم الهندسية والأبواب الوهمية. كما أن ثلاثاً منها تحتوي على حروف منقوشة عليها.

وكذلك عثر في معبد الإله سن في الحريضة بحضرموت على مجموعة من المجامر المكعبة من الحجر الجيري والواقفة على أرجل قصيرة، واكتشف في واحدة منها بقايا مادة راتينجية عطرة. كما أن منها ما حَمل نقوشاً بالخط المسند الجنوبي تذكر أسماءً لأنواع مختلفة من البخور. وهذا النوع من المجامر عثر عليه أيضاً في بعض الأماكن في فلسطين. كذلك توجد كثير من المذابح والمجامر الحجرية من جنوب الجزيرة العربية في عدد من المتاحف الأوروبية.

وعثر في المملكة على نوعين من المجامر الحجرية. النوع الأول المجامر الصغيرة؛ وقد عثر في قرية الفاو على مجموعة منها، مربعة أو مكعبة مصنوعة من الحجر الكلسي وهي ذات أربع أرجل قصيرة ومربعة. ويوجد أحياناً في أعلى كل رجلين منها تجويف مستطيل نافذ كعنصر زخرفي لها. ويوجد على جدرانها الأربعة من الخارج، وأحياناً على جدار واحد، كتابة بالخط المسند الجنوبي بأسلوب غائر، وهي أسماء لأنواع من الدخون المستخدم مثل «ض ر و» «ل د ن» «ر ن د» «ق ل م» «ل ب ن ي» «ك م ك م» «ق س ط» «ح ذ ك». كما يُكتب أحياناً على جدران المجمرة الأربعة بعض الألفاظ الدينية أو ألفاظ التقديم للمعبودات ومن أهمها مبخرة كتب عليها اسم «كهل».

وعثر في مواقع أخرى على مباخر حجرية صغيرة، منها مبخرة عثر عليها في الدفي في المنطقة الشرقية من

مجمرة مربعة مصنوعة من الحجر مكتوب عليها رند وهو اسم البخور المستخدم فيها

المملكة، وفي ثاج في شرق المملكة، والحِجْر. وفي مدافن الظهران عثر على مباخر عليها رسومات مختلفة كالعقرب والجمل والسمكة والنخيل والثور، وكذلك عثر فيها على مبخرة صغيرة مزخرفة الجوانب بالأشكال الهندسية، عليها أثر التلوين بالأحمر والأسود، ومن أهم مباخرها مبخرة من الحجر مكعبة، حجمها ٨,٥سم × ٨,٥سم بارتفاع ٦,٥سم، وعلى جوانبها الأربعة زخارف هندسية، كل ضلع يختلف عن الآخر، وعلى أحد أضلاعها نحت بارز لحيوانين غريبي الشكل يلتقيان من الخلف، وعلى حافة الإناء زخارف هندسية، وعليها أثر الحرق من إشعال البخور.

أما في تيماء فقد عثر على نوعين من المباخر:

النوع الأول مباخر تعد الأولى من نوعها في الجزيرة العربية لأنها استخدمت في آنية على شكل الكأس يفترض أن تكون خصصت للشرب، وهي مبخرة ذات قاعدة بارزة من الخارج، وعلى بدنها زخارف بأشكال هندسية تلتف حول البدن ملونة باللون البني الغامق والفاتح، وعثر في إحداها على بعض الفحم مما يؤكد استخدامها كمبخرة، وهذه النوعية من المباخر وجدت داخل المدافن.

مبخرة من تيماء وجد بها بعض الفحم

النوع الثاني، مباخر كبيرة من الحجر الرسوبي على بعضها زخارف هندسية تحمل كتابات لحيانية، والأخرى كتابات بالمسند الشمالي.

وفي تاروت عثر على مبخرة من الحجر الصابوني ذات مقبض طويل وحوض المجمر دائري الشكل، ويحتوي البدن والقاعدة على زخارف غائرة قوامها دوائر وأشرطة تلتف حول البدن، وتحتوي القاعدة على أربع أرجل.

وفي الأخدود في نجران، عثر على مباخر حجرية شبيهة بمباخر قرية الفاو، عليها كتابات بالمسند.

مبخرة من الأخدود عليها كتابات بالمسند

وفي الطائف عثر على مبخرة من الحجر الصابوني في طور الإنتاج وهي مشابهة للمبخرة الحجرية ذات المقبض الطويل والحوض الدائري الشكل التي عثر عليها في تاروت، وعثر في الطائف أيضاً، على مبخرة من الحجر الصابوني في طور الإنتاج مربعة الشكل ١١×١١سم بارتفاع ٧سم، وعلى البدن مقبض صغير.

وفي عَثَّر في منطقة جازان عثر على مباخر بأعداد كبيرة على شكل مكعبات مزخرفة بأشكال هندسية غائرة في الأرجل والأبدان، ومنها مبخرة ذات شكل متميز صنعت من الحجر الصابوني، وهي جزء من بدن وقاعدة بارتفاع ٥,٧سم ذات سمك يصل إلى٩ ملم، لم يبق من أرجل القاعدة إلاّ واحدة، ويشاهد على البدن زخرفة من الخارج قوامها تضليع عمودي بارز، ينم عن إتقان.

وفي المابيات جنوب غرب مدينة العلا عثر على مباخر من الحجر الصابوني والمرمر، ومبخرة فريدة من نوعها، وهي مبخرة من الحجر الرملي الأحمر مستطيلة الشكل تحتوي على حوضين للبخور، طولها ٢٠سم وعرضها ٩سم بارتفاع ٨سم مهشمة القواعد.

أما النوع الثاني فيتمثل في المجامر الكبيرة وهي عبارة عن كتلة من الحجر الجيري الصلد أو من الصخر على هيئة مذبح. وقد عثر على عدد منها في المقابر وعلى عدد آخر إمّا في المعابد أو في

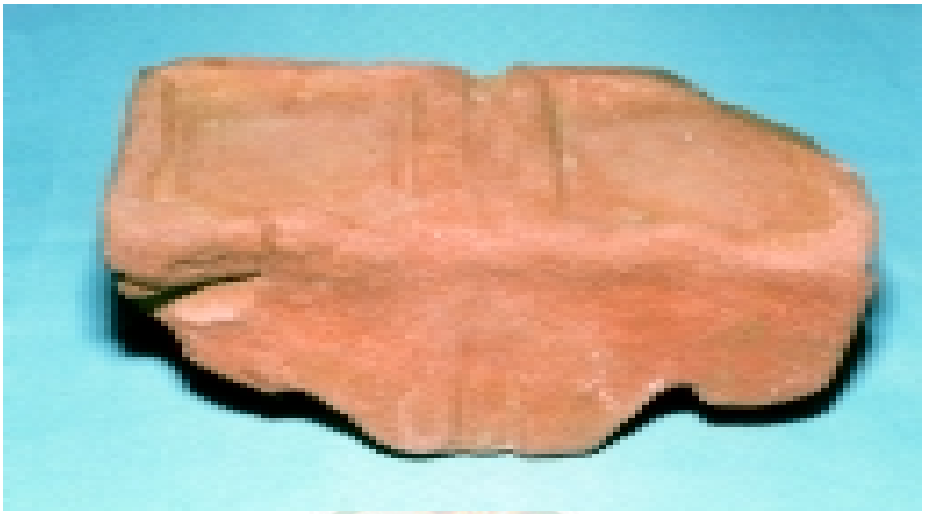

مبخرة من المابيات تحوي حوضين للبخور

السوق أو في المنطقة السكنية في قرية الفاو. وتتكون هذه المجامر من جزءين، السفلي وهو قاعدة مخروطية الشكل، والعلوي وهو حوض مربع الشكل به تجويف قليل العمق. ويكتب غالباً على أحد جدران المجمرة بالخط المسند ما نظنه ألفاظاً دينيةً أو نقوشاً نذرية. ولبعض تلك المجامر شكل المجمرة التقليدية، بالإضافة إلى وجود مربع صغير فوق الكتابة منحوت فيه بشكل بارز قرص الشمس والهلال. كما تمتاز هذه المجامر أو المذابح بمدرجات منحوتة على جانبي الحوض تشبه ما يسمى خطوة الغراب في العمارة النبطية، خاصة مقابر مدائن صالح، وتوجد على الواجهة في الغالب رسومات منحوتة، توضح واجهات معابد وزخارف معمارية، مثل الدرج والأبواب الوهمية.

وهناك نوع آخر من هذه المذابح أو المجامر توجد على جوانبها الأربعة من أعلى رسومات على هيئة رؤوس آدمية وأشكال حيوانية، خاصة الوعول. كما

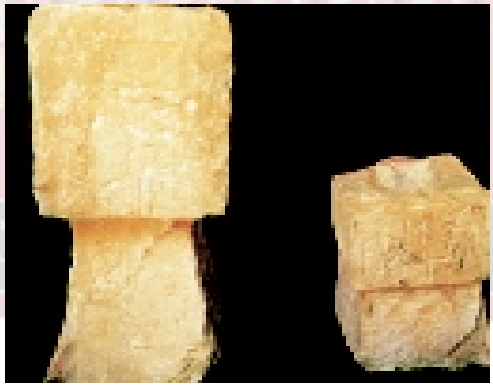

أنموذجان من المجامر الحجرية الكبيرة المستخدمة في المعابد بقرية الفاو

توجد بالإضافة إلى ذلك كتابات بالخط المسند الجنوبي.

وفي حفريات قصر الحمراء بتيماء عثر في الموسم الثاني على مجمرة كبيرة من الحجر الرملي عند مدخل إحدى الغرف. وهي ذات لون بني داكن وجيدة الصنع، ويبلغ ارتفاعها حوالي ٤٠سم، وتتكون من ثلاثة أجزاء: القاعدة والبدن والحوض. وهي مزينة من الخارج بتهشيرات وتنقير بقصد الزخرفة، وقاعدة المجمرة وحوضها مربعان، أما بدنها فأسطواني الشكل. وربما تعود هذه المجمرة إلى حوالي القرن السادس ق.م. أما في الموسم الثالث لحفريات قصر الحمراء بتيماء فقد وجد في إحدى الغرف، التي تمثل مقر طقوس وعبادة الإله، تمثال مقطوع الرأس وعلى يساره مجمرة كبيرة من الحجر الرملي، وهي مستطيلة وحوضها مربع الشكل، وعلى وجهين منه تتكرر كتابة آرامية نصها «إله الآلهة».

مجمرة كبيرة من قصر الحمراء بتيماء

كما عُثر في الطبقة الأثرية الثالثة من أحد مربعات التنقيب على مجمرة فريدة من نوعها وطرازها، مصنوعة من الحجر الرملي الرمادي، وهي غاية في دقة الصناعة والإتقان. وتتكون من جزءين، الأول قاعدة أسطوانية تبدو عليها آثار التنقير، مما يرجح استخدامها في الدق، والثاني مربع بارز للخارج يمثل حوض المجمرة. وفي مربع آخر عثر في إحدى الطبقات على مجمرة كبيرة من الحجر الرملي البني، أجزاء قليلة منها مكسورة. ويبدو عليها تماثيل في شكل كل من القاعدة والحوض، حيث يصل بينهما بدن أسطواني الشكل تغطيه زخرفة، وهي تهشيرات. ومن ضمن المعثورات الحجرية في الموسم الثالث لحفرية الخريبة الجنوبية، مجمرتين من الحجر الرملي. الأولى تمثل نصف مجمرة لها عدد من الأرجل، والثانية قاعدة مجمرة من الحجر الرملي الطفحي.

المجامر الفخارية. استخدم العرب، مثل غيرهم من الشعوب الأخرى، الأواني الفخارية، إذ توافرت لديهم المواد الأولية اللازمة لصناعتها. وكانت لديهم الخبرة والمعرفة في صناعة الفخار، وإن تفاوتت حسب درجة تحضر المجتمع. وقد انتشرت صناعة الفخار في الجزيرة العربية وأصبح لكل منطقة نوعية خاصة منه. ومن الفخار صنع العرب أيضاً المجامر، إلا أنها تعد، إلى حد ما، أقل انتشاراً من المجامر الحجرية، وربما أقدم وجوداً. والمجامر الفخارية في معظمها، إن لم تكن جميعها، صغيرة الحجم ومكعبة الشكل ولها أربع أرجل قصيرة في العادة. وعلى جدرانها أحياناً عناصر زخرفية، هندسية أو حيوانية.

وفي قرية الفاو عُثر على مجامر صغيرة مكعبة الشكل من الفخار، على معظمها زخارف هندسية في شكل مثلثات مرسومة بطريقة الحز. أما طينتها فهي عادية تخلو من الشوائب العضوية، كما أن حرقها خفيف. ولا يعرف حتى الآن عن مجامر فخارية عليها كتابة.

وفي ثاج عثر على مجامر طينية، كثير منها يحمل زخارف على شكل خطوط محززة، أو خطوط منحنية،

مجمرة فخارية من موقع ثاج بالمنطقة الشرقية

ومعظمها ذات تصميم مسطح، وارتفاعها أكثر من عرضها، وعليها زخرفة أسنان المنشار. ثم عثر بعد ذلك على مجموعة من المجامر المصنوعة من الفخار الأحمر الخشن المحروق والمدهون بلون الكريم والبني. وهي مجامر مكعبة ومحمولة على أربع أرجل مجوفة السطح، وتظهر على جوانب البدن زخارف في أشكال هندسية مهشرة ومسننة.

ومن بينها مبخرة صغيرة، يبلغ طول أضلاعها ٤سم×٤سم بارتفاع ٣,٥سم وعلى جوانبها زخارف غائرة تمثل أشكالاً هندسية. ومن أهم المباخر تميزاً في ثاج جزء من مبخرة مكعبة، صنعت من

الفخار، تحتوي على أحواض أربعة لحرق البخور، موزعة على جميع واجهات المبخرة، ويعد هذا الشكل فريداً من نوعه في المملكة.

وفي المدفن الرئيسي في حفرية جنوب الظهران عُثر على مجمرة صغيرة مكعبة وغير مكتملة من الفخار، تشبه مجامر جنوب الجزيرة العربية ومجامر قرية الفاو. وهي مزينة بزخارف هندسية غائرة تمثل مثلثات ودوائر وخطوط مستقيمة ومائلة باللون الأسود والأحمر.

مجمرة فخارية
موقع جنوب الظهران بالمنطقة الشرقية

بعد ذلك وجدت ثلاث مجامر طينية، الأولى منها تفتقد بعض أجزاء من حافتها، وترتكز على أربعة نتوءات بمثابة أرجل للمجمرة، وبأعلاها آثار حرق البخور. وهي مزخرفة بزخارف هندسية غائرة. وطينتها خضراء محلية ومطلية باللون الأحمر، والزخرفة بخطوط سوداء. والثانية ذات طينة محلية تماثل طينة شمال المنطقة وطينة واحة الأحساء. وعليها نقوش هندسية غائرة، قوامها خطوط تمثل مثلثات، وهي تماثل مجامر جنوب الجزيرة العربية ومجامر قرية الفاو من حيث التأثيرات الفنية والصناعية. أما الثالثة فتفتقد إحدى أرجلها، وتوجد عليها أشكال هندسية زخرفية غائرة. وعلى إحدى واجهاتها رسم لكلب صيد من نوع السلوقي. كذلك عثر على مجمرة من الفخار ترتكز على أربعة نتوءات كأرجل مربعة للمجمرة من دون بروز للزوايا، وهي مطلية بطبقة كريمية اللون رقيقة، وفخارها أحمر محروق يتميز بذراته الكلسية والفقاعات الصفراء، وهذا النوع يمتاز به فخار الخليج المحلي (فخار دلمون).

وفي الموسم الرابع للتنقيبات في حفرية جنوب الظهران، عثر في المدفن الرئيسي على مجمرتين من الفخار

مكعبتي الشكل، ولكل منهما أربع أرجل. الأولى عليها رسوم لعقرب، وأخرى لجمل، أما الثانية فعليها من جميع الجهات رسوم لجمال وأسماك ونخيل وثور.

وفي حفرية الدفي في مدينة الجبيل، حرم الكلية التقنية، عثر على مجمرتين تشبهان تلك التي عثر عليها في ثاج وقرية الفاو. فالأولى صغيرة جداً، مكعبة الشكل، من الطين تبلغ أطوالها ٣سم×٣سم بارتفاع ٤سم، ولها أربع أرجل، وذات شكل شبه منحرف، ومجوفة من الداخل. ويبدو أن طينتها محلية، وبها كمية قليلة من الصلصال وتميل إلى الاخضرار وتعد أصغر مبخرة عثر عليها حتى الآن في المواقع الأثرية في المملكة. أما الثانية فقد صنعت من الفخار الرديء وذات قوائم أربع، كما أن حوافها العلوية وأرجلها السفلية متآكلة. وهي مطلية باللون الأحمر الفاتح.

وفي مدافن موقع الصناعية بتيماء عثر على طراز جديد من المجامر ينفرد به هذا الموقع حتى الآن، وربما يعود تاريخ هذه المجامر إلى الفترة ما بين القرنين السابع والثامن ق.م وربما أقدم. ويتمثل هذا الطراز الجديد في مجموعة من المجامر الفخارية على شكل كوب مخروطي إلى أسفل ينتهي بقاعدة مستديرة. والفوهة منفرجة بارتفاع يتراوح ما بين ٧-١٠سم تقريباً. وهذه المجامر الفخارية ذات عجينة وردية إلى برتقالية اللون مخلوطة بشوائب حصوية مقوية ومطلية من الداخل والخارج. ويزينها من الجانبين زخارف معظمها هندسية بسيطة التركيب وتختلف من مجمرة إلى

طراز مختلف من المجامر

أخرى، وقد اختيرت ألوان الخطوط الزخرفية من اللونين البني والأسود.

وفي الموسم الثالث لحفرية الخريبة الجنوبية عُثر على مجمرة نبطية شبه مكتملة. وهي مصنوعة من الفخار الخشن وتوجد عليها زخارف تتكون من خطوط مستقيمة متقاطعة. كذلك عثر في موقع لقطة الطوير على أجزاء من مباخر فخارية صغيرة الحجم تزينها زخارف محزوزة تحت الطلاء.

المجامر في العصر الإسلامي

عندما ظهر الإسلام لم يعترض على عادة استخدام الدخون المتوارثة عند العرب، بل سمح باستخدامه في المسجد فقد حث الرسول ﷺ على تجمير المساجد، فقال «جمروا مساجدكم». وكان عبدالله المجمر مولى عمر بن الخطاب يجمّر المسجد إذا جلس الرسول ﷺ على المنبر. كما كانت مواد الزعفران والعنبر والعود معروفة في زمن الرسول ﷺ، واستعملها الصحابة في حضرته. وقد حافظ عرب الجزيرة العربية على عادتهم في استخدام البخور في المساجد والمنازل وحرصوا على تقديمه لضيوفهم طوال فترات التاريخ الإسلامي. وأصبحت هذه العادة رمزاً من رموز الضيافة العربية الأصيلة في جزيرة العرب، وهي ما تزال كذلك في الوقت الحاضر، كما هو الحال في المملكة ودول الجزيرة العربية الأخرى.

ونجد في بعض المصادر التاريخية والجغرافية والأدبية معلومات قليلة عن مواد الدخون المستخدمة في بعض مناطق المملكة خلال القرون الأولى للهجرة، غير أنه يندر العثور، فيما أطلعنا عليه من هذه المصادر، على وصف لأنواع المجامر التي كانت تستخدم في تلك الفترة، وأشكالها، والمواد التي صنعت منها. ولحسن الحظ أمدتنا أعمال المسح والتنقيب الأثري التي أجريت في بعض مواقع الآثار الإسلامية بالمملكة، كالربذة وعَثَّر وبدا والمابيات ونجران بمجامر كاملة وكسر مجامر يعود تاريخها إلى الفترة الممتدة من القرن الثاني إلى القرن السادس الهجري، وهي مجامر مصنوعة من الحجر الصابوني والفخار والمرمر والبرونز. وفيما يلي نتحدث عن كل نوع من أنواع هذه المجامر، التي تعرف أيضاً باسم المباخر، في ضوء المعلومات المتوافرة عنها حتى الآن.

مجامر الحجر الصابوني. عثر على نماذج جيدة من مجامر الحجر الصابوني

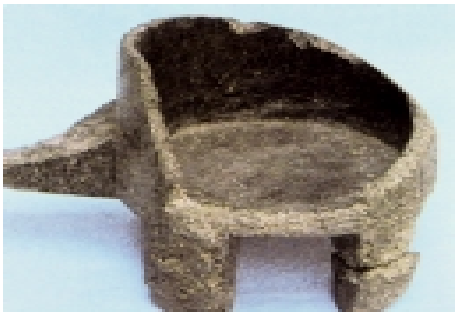

مجمرة من الحجر الصابوني، تعود إلى الفترة الإسلامية المبكرة – موقع الربذة

يعود تاريخها إلى القرون الأولى للهجرة، في حفرية الربذة وفي حفرية المابيات. كما وجدت كسرة من هذا النوع في موقع بدا القريب من الوجه. ولهذه المجامر أشكال متعددة يمكن تصنيفها إلى ما يلي:

١) مجمرة دائرية الشكل محمولة على أربع أرجل قصيرة تبرز تحت قاعها، ولها ممسك متصل ببدنها.

٢) مجمرة دائرية الشكل لها أربع أرجل طويلة ترفع بدن المجمرة عن الأرض وتمتد إلى مستوى حافتها.

٣) مجمرة على شكل دائرة مفصصة من الداخل لها أربع أرجل بارزة، ومقبض طويل على شكل قضيب.

٤) مجمرة مكعبة الشكل لها أربع أرجل متصلة بقاعدة مستوية. ويتوسط أرجل المجمرة قضيب أسطواني.

وتشبه هذه المجمرة المكعبة مجامر عثر الفخارية كما أنها تشبه المجامر الحجرية والفخارية المكعبة التي كانت تصنع في الجزيرة العربية قبل الإسلام.

المجامر الفخارية. عثر على مجامر مصنوعة من الفخار على شكل مكعبات في موقع عَثَّر القريب من جازان، وهي مجامر ذات أهمية علمية كبيرة لأنها تمثل استمراراً لنمط المباخر العربية القديمة ذات الشكل المكعب التي كانت تصنع في بعض مناطق الجزيرة العربية منذ منتصف الألف الأول قبل الميلاد. ويعتقد بأن مجموعة عَثَّر من هذه المجامر الفخارية هي الأولى من نوعها التي ظهرت في أواخر العصر الإسلامي المبكر. وتتخذ هذه المجامر شكل مكعب صغير محمول على أربع أرجل قصيرة، ومزود بتجويف غير عميق يحرق فيه البخور. كما زودت بعض نماذج هذه المجامر بقاعدة مستوية ملتصقة بأرجل المجمرة. وتزين هذه المجامر زخارف هندسية غائرة قوامها مجموعات متكررة من المثلثات المتقابلة ومستطيلات صغيرة وخطوط متوازية وخطوط متموجة، كما زين بعضها بدوائر صغيرة متجاورة تكوّن مجموعات من الخطوط الرأسية والأفقية والمائلة.

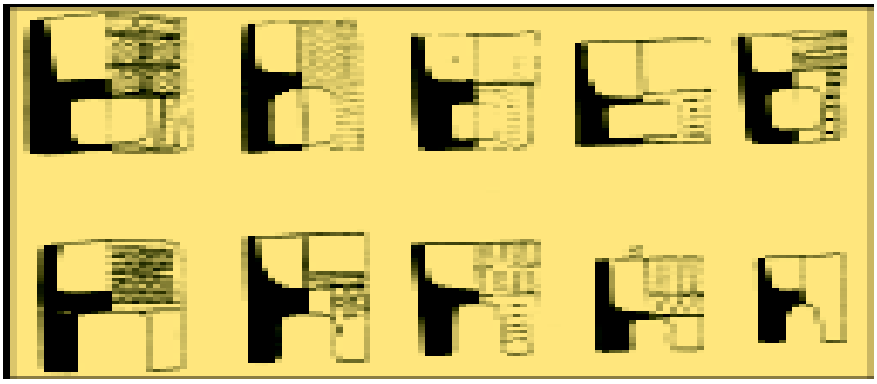

نماذج من المجامر الفخارية، تعود إلى الفترة الإسلامية المبكرة – موقع عثر

مجامر المرمر والبرونز. ورد في التقرير المبدئي الذي نشر في العدد التاسع من حولية أطلال، عن نتائج الموسم الأول من الاستكشافات الأثرية بموقع المابيات الإسلامي، إشارة لوجود مجامر برونزية ومجمرة واحدة من المرمر ضمن المواد الأثرية التي عثر عليها بالموقع. ولم ترد في التقرير معلومات إضافية عن هذه المجامر التي تعد من أوائل ما وجد من مجامر البرونز والمرمر في المواقع الأثرية الإسلامية بالمملكة.

أما المجامر المستخدمة في مناطق المملكة خلال العصور الإسلامية المتأخرة، قبيل وخلال العصر العثماني، فقد كان أكثرها من الفخار. وكانت تصنع محلياً في مراكز صناعة الفخار بالأحساء والحجاز وعسير ونجران والباحة والقنفذة وجازان. وكان معظمها على شكل إناء صغير محمول على قاعدة مخروطية، ومزود في بعض الأحيان بمقبض واحد أو أكثر، يسمح بتعليق المجمرة. وقد استخدمت المجامر المصنوعة من المعدن، وكانت تستورد من الهند والعراق ومصر والشام، كما استخدمت أيضاً المجامر المصنوعة من الخشب الملبس برقائق الحديد، واشتهرت منطقة نجد بصناعتها.

وتعد صناعة المجامر بأنواعها المختلفة إحدى الصناعات التقليدية المهمة التي ما تزال تمارس في عدد من مناطق المملكة. ويبدو أن أشكال المجامر التي يصنعها الحرفيون الشعبيون بالمملكة في الوقت الحاضر تمثل استمراراً لأشكال المجامر التي كانت تصنع خلال العصور الإسلامية المتأخرة.

المسارج في العصور القديمة

المسارج والمصابيح وسيلة من وسائل الإضاءة، وقد جاء ذكر المصباح أو السراج في القرآن الكريم في قوله سبحانه وتعالى ﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة﴾ (النور: ٣٥).

فالمصباح: السراج، والسراج المصباح الزاهر الذي يسرج بالليل، والمسرجة التي فيها الفتيل.

والمسرجة في القديم حوض صغير يوضع فيه الزيت، متصل بفتيلة من القماش تمتص الزيت فتضيء حين تشعل فيها النار. وقد صنعت في بادئ الأمر من الأحجار أو الفخار، ثم صنعت من المعادن بأشكال جمالية متنوعة.

وللمسرجة أسماء مرادفة لها كالسراج والنبراس والمصباح، وهي بمعنى واحد، ولكن اسم السراج أجود في المعنى، ويتكون السراج من الفتيلة، وهي الشعيلة والذبالة، والسليط (الزيت). قال امرؤ القيس:

يضيء سناه أو مصابيح راهب
أمال السليط بالذبال المفتل

عرف الإنسان فائدة النار منذ القدم. فحين احتاج إلى التدفئة في فصل الشتاء، استخدم نار الخشب التي منحته الدفء وعملت على إثارة ذعر الحيوانات الضارية التي تتربص به. كما أن هذه النار حققت رغبته في الحصول على شيء من الإضاءة للقضاء على ظلام الليالي المخيف. كما أن هذا الإنسان وصف آلهته بالنور وتخيلها تملأ الكون بالضياء، إذ ظهرت عبادة الشمس والقمر ونجم، أو نجمة الصباح في ديانات الشرق القديم. وبعد ذلك اهتدى الإنسان لصناعة السراج بشكله البدائي عندما توصل إلى ابتكار طريقة إشعال نوع من الفتيل بغمسه في حوض حجري صغير أو صدفة بحرية صغيرة تحتوي على شحوم أو زيت. وتنقسم المسارج حسب المادة المصنوعة منها إلى: مسارج حجرية، ومسارج من الفخار، ومسارج خزفية، ومسارج برونزية. ويمكن عدّ المسارج الفخارية، على وجه الخصوص، من أكثر المعثورات الأثرية اكتشافاً في بلاد العالم القديم.

استخدم المصريون القدماء الخشب المشتعل كوسيلة إضاءة للتغلب على الظلام، ثم توصلوا في بداية الألف الثالث ق.م إلى استخدام سُرُج قديمة، وهي أوعية من الفخار، فتيلها من الحشائش المجدولة أو خيوط أقمشة

مفتولة، وزيتها من الشحم الحيواني أو زيت الخروع. وكانت مسارج قدماء الإغريق في بداية أمرها بسيطة المظهر ثم أصبحت معقدة بالتدريج، فقد كان للسراج في البداية مثعب (مرزاب) واحد يخرج منه الفتيل المبْتَلّ بالزيت ثم أصبحت له بعد ذلك مثاعب عديدة بلغت حوالي عشرين مثعباً، ثم جعلوها مغطاة حتى لا يتسرب الغبار والأوساخ إلى زيت الاشتعال، كما قاموا بتطوير أشكال المسارج وتزيين سطوحها بالصور والزخارف، وبعضها كانت تحمل علامة خاصة بمصنعها. أما الرومان فقد أخذوا صناعة المسارج من المدن اليونانية وإيطاليا الجنوبية، وعرفوا المسارج البسيطة المكونة من وعاء من الحجر أو الفخار أو البرونز دائري الشكل وله مثعب في منتصف سطحه العلوي لصب الزيت. وفي مقدمة هذا الوعاء صنبور يخرج منه الفتيل المبتل بالزيت، وفي الجهة المقابلة للصنبور مقبض له حلقة مستديرة. وتمتاز هذه المسارج بزخارفها الفنية وموضوعاتها الأسطورية، وبعضها يحمل كتابات تذكر أسماء عدد من الصناع. ويؤكد بعض الباحثين أن أقدم المسارج جاءت من أور في العراق القديم، وقد عثر في أريدو على مسرجة في شكل طاسة قعرها غير ثابت وحافتها مثنية قليلاً إلى الداخل لتكون ما يشبه المثعب، وتعود إلى حوالي ٤٠٠٠ سنة ق.م. وكانت بلاد ما بين النهرين تصدر المسارج إلى البلاد الأخرى المجاورة، فقد عثر في بيت شمس بفلسطين على مسرجة مستوردة من بلاد ما بين النهرين، تمتاز بوجود غطاء في أعلاها ومقبض في جانبها بالإضافة إلى وجود مثعب للفتيل، وهي تعود إلى حوالي عام ٥٠٠ ق.م. وأما في فلسطين وبلاد الشام فإن تاريخ المسارج، خاصة الفخارية منها، يبدأ في أواخر الألف الثالث ق.م. إذ استخدمت الأطباق الدائرية الشكل والضحلة العمق والمصنوعة بالدولاب، وجعلت لها أربعة أركان مضغوطة لتشكل مصبات أربعة كفتحات للفتيل. بالإضافة إلى ظهور النمط الأصلي للمسارج الذي هو صحن أو طبق دائري الشكل مزود بركن مضغوط يشكل فوهة واحدة لفتحة الفتيل. وقد استمر هذا النوع قرابة الألفي عام دون تغيير في شكله، ما عدا القاعدة والصنبور والحافة وصغر الحجم. وخلال الفترة الهلينستية والرومانية ظهرت في بلاد الشام مسارج

تمثل الميول والاتجاهات المحلية والإقليمية، منها ما هو مصنوع بالقالب ومنها ما هو مصنوع بالدولاب. فالمسارج المصنوعة بالقالب ظهرت في القرن الأول الميلادي وتميزت بحافة مزخرفة وصنبور ومقابض صغيرة، أما المسارج المصنوعة بالدولاب فهي ذات جسم دائري وقاعدة منبسطة وفتحة التعبئة مركزية وكبيرة، وكثير منها بلا مقابض.

وفي الفترة الهلينستية والرومانية نجد أنواعاً كثيرةً من المسارج، منها المسارج المستديرة ذات الأقراص المزخرفة، ومسارج جرش المتميزة بأشكالها وزخارفها المتنوعة.

أما المسارج النبطية فيمكن تصنيفها ضمن مسارج الفترة الرومانية المبكرة. وقد طور الأنباط نوعاً من المسارج خاصاً بهم، كما صنعوا نُسخاً رديئة من المسارج الرومانية ذات أقراص مزخرفة؛ والسبب في ذلك يعود إلى كثرة استخدامهم القوالب، بالإضافة إلى أنهم استخدموا مسارج مستوردة أيضاً، وتعود معظم نماذجهم إلى القرن الأول الميلادي. وتتميز مسارج القرن الثالث والرابع الميلاديين بأنها بيضية الشكل ذات فتحات تعبئة كبيرة ومستديرة، ولها صنابير متعددة قوسية الشكل، وزخارفها غائرة على القرص والحافة. وفي الفترة البيزنطية أصبح شكل المسارج يشبه الحذاء أو القارب، وحوافه مزخرفة بأشكال شعاعية. وفي القرن السابع الميلادي وحتى نهاية العصر الأموي أصبح السراج يحتوي على قناة مزينة بزخارف مختلفة. ويلاحظ أن الزخارف على المسارج في جميع مراحل تطورها زخارف هندسية وحلزونية ونباتية وآدمية وصلبان ونماذج مشعة، وتطلى طينتها الصفراء باللون البرتقالي أو البني أو ألوان أخرى كالطوبي والأحمر.

وتواجهنا صعوبة عند الحديث عن المسارج في المواقع الأثرية بالمملكة لقلة ما عثر عليه منها. وسبب ذلك يرجع في المقام الأول إلى ندرة التنقيبات الأثرية بالمملكة بشكل عام، باستثناء التنقيبات الأثرية لقسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود في قرية الفاو، وبعض الحفريات الأثرية الصغيرة التي أجرتها إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف في شرق المملكة وشمالها الغربي. أضف إلى ذلك أن النتائج الكاملة والدراسات الوافية عن تلك الأعمال والتنقيبات الأثرية لم ينشر عنها إلا القليل. ومن خلال التقارير الأولية التي نشرت حتى الآن عن المسوحات الأثرية والأعمال

الميدانية في مناطق مختلفة من الجزيرة العربية، خصوصاً في المملكة العربية السعودية، فإننا لا نجد بين أيدينا غير عدد قليل من المسارج لا يمكن أن تعطينا صورة واضحة ودقيقة عن استعمال المسارج لدى مجتمعات الجزيرة العربية في العصور القديمة. ومما لاشك فيه أن المسارج المكتشفة في وسط وشرق الجزيرة العربية وشمالها أيضاً تظهر بصورة أوضح مما هو موجود في جنوب الجزيرة مثلاً. إذ يلاحظ من نتائج الحفريات الأثرية التي أجريت في اليمن حتى الآن أنها لا تعطي إشارات واضحة عن استعمال المسارج في جنوب الجزيرة العربية. وأثناء التنقيبات في قرية الفاو، عثر على بعض الكسر الفخارية كأجزاء من مسارج، ومن خلال أشكالها وزخارفها وعجينتها يرجح أنها من المسارج النبطية. كذلك عثر على عدد محدود جداً من المسارج المعدنية، منها مسرجة برونزية ذات شكل كمثري، قاعدتها بارزة، ولها فتحة نصف دائرية، ومزودة بمقبض مستدير مثبت على جسم المسرجة، ويعلوها شبه غطاء ثابت على شكل ورقة نباتية. وربما تعود هذه المسرجة في تاريخها إلى ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي.

مسرجة معدنية – موقع الفاو

كما عثر في إحدى المقابر على مسرجة من البرونز بغطاء له مقبض صغير مثقوب، ولها يد معقوفة محلاة من أعلى بدوائر بارزة، ولها قاعدة حلقية بارزة تستند إلى قاعدة أخرى منفصلة مستديرة ومحلاة أيضاً بدوائر بارزة. وطراز هذه المسرجة روماني، وربما تعود إلى القرن الأول الميلادي.

وخلال الأعمال الأثرية والحفريات الصغيرة التي قامت بها إدارة الآثار والمتاحف في مواقع مختلفة بالمملكة العربية السعودية مثل دومة الجندل وتيماء والخريبة الجنوبية بالحجر، عثر على عدد لابأس به من المسارج الفخارية منها ما هو على الطراز النبطي، ومنها ما هو على طراز المسارج في العصرين الهلينستي والروماني. ومن تلك المسارج مسرجة من الفخار وجدت داخل إحدى المقابر في الصنيميات بدومة الجندل القديمة،

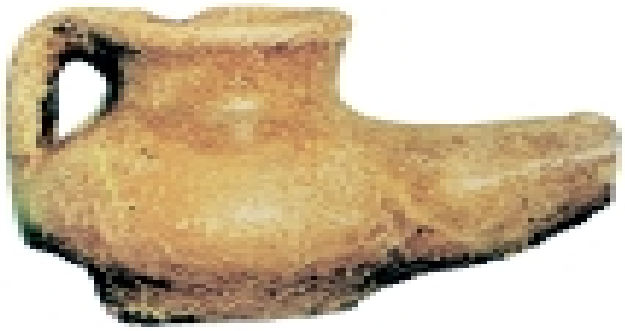

مسرجة فخارية – دومة الجندل

وهذه المسرجة سميكة الجدران عليها بقايا تزجيج باللون الأخضر المائل للاصفرار، ولها قاعدة سميكة منبسطة. كذلك عثر على مسرجة من الفخار مصنوعة بالقالب أثناء أعمال ترميم قلعة مارد تؤرخ للعصر النبطي. وفتحة الزيت لها عنق مرتفع بمقبض يمتد من أعلى شفة العنق إلى نهاية جسم المسرجة بشكل قائم تقريباً. ولها مثعب طويل دائري الشكل يستدق عند نهايته لفتحة الفتيل. وفي الحِجر عثر على مسارج فخارية على بعضها زخارف هندسية وبعضها بلا زخارف. ومن هذه المسارج مسرجة فخارية متكاملة قاعدتها حلقية مرتفعة، ولها مقبض دائري الشكل، ويبدو أنها تعود إلى فترة القرنين الثاني والثالث الميلاديين. وربما يكون هذا الشكل تقليداً للمسارج المعدنية لتلك الفترة. كما عثر أيضاً في الخريبة الجنوبية بالحجر على ثلاث مسارج من الفخار ذات صناعة جيدة مكتملة ماعدا جزء مفقود من المقبض العلوي، وهي باللون البني الفاتح. ويوجد على سطح اثنتين منها زخارف بارزة تماثل المسارج الرومانية من حيث اللون والزخرفة. والمسرجتان نبطيتان ترجعان إلى أواخر القرن الأول الميلادي، أمّا الثالثة فقد تكون نبطية ولكنها تقليد للمسارج الرومانية الهيرودية المتأخرة، أي من أواخر القرن الأول قبل الميلاد إلى أوائل القرن الأول الميلادي، وهي ناعمة وذات لون بني ويظهر على فوهتها آثار حرق. وعثر على مسرجة مصنوعة من البرونز بالنظام المتبع في المسارج سالفة الذكر إلا أنها تحتوي على قاعدة مستديرة.

وفي موقع الصناعية بتيماء عثر على ملتقط سطحي عبارة عن مسرجة فخارية

مسارج مثلثة الشكل بعضها في طور التصنيع من الطائف

ذات طينة خشنة بحبيبات من الفخار الخشن حمراء زهرية اللون تميل إلى الاصفرار. وعلى السطح الداخلي بقايا تغشية ببطانة صفراء اللون. أما الشكل فيمثل الشكل النموذجي لمسارج القرن السادس أو السابع قبل الميلاد.

وفي الأخدود في نجران عثر على مسارج عديدة، من بينها مسرجة مثلثة الشكل ذات مقبض، صنعت من الحجر الصابوني، وعلى بدنها من الخارج زخارف هندسية غائرة.

وعثر في الطائف على مجموعة من المسارج ذات نوعية واحدة مثلثة الشكل ذات مقبض، وهي في طور التصنيع، والبعض منها مهشمة من أثر التصنيع.

وفي ثاج، بشرق المملكة، عثر على مسارج من الفخار، من أهمها مسرجة صغيرة صنعت من الفخار الأحمر، مستطيلة الشكل مقوسة الطرفين، شكلت باليد بدون العجلة، ويبلغ طول المسرجة ١٢سم وعرضها ٤سم ويصل ارتفاعها إلى ٢,٥ سم.

المسارج في العصر الإسلامي

استخدم المسلمون منذ عهد مبكر أنواعاً متعددة من المسارج. فقد روي أن مسجد الرسول ﷺ كان يسرج بسعف النخيل إلى أن قدم سراج مولى تميم الداري بالقناديل والزيت والحبال وأسرج المسجد. فقال رسول الله «من أسرج مسجدنا؟، فقال تميم: غلامي هذا، فقال ما اسمه؟ قال: فتح، فقال النبي ﷺ بل اسمه سراج».

وخلال العصور الإسلامية المبكرة أنتجت المسارج في أقاليم الجزيرة العربية

من مواد مختلفة، كالفخار والزجاج والحجر الصابوني. واشتهرت بعض المدن القديمة في الحجاز وتهامة ونجد والأحساء بإنتاج المسارج التي يستخدم فيها الزيت والمقط/ الحبل. كما أنتجت المسارج التي تعلق في الأسقف. وفي ضوء المعلومات المتوافرة لدينا يمكن حصر أنواع المسارج التي كانت تنتج وتستخدم في هذه المنطقة خلال الفترة الممتدة من القرن الأول إلى القرن السادس الهجري فيما يلي:

المسارج الفخارية. تنقسم المسارج الفخارية التي يعود تاريخها إلى القرون الهجرية الأولى إلى نوعين: مسارج فخارية مطلية بطبقة من الطلاء الزجاجي. ومسارج فخارية غير مطلية بالطلاء الزجاجي، وقد عثر على كسر ونماذج كاملة قليلة العدد من كلا النوعين في مواقع الآثار الإسلامية بالمملكة. وفي ضوء ما نشر من معلومات حتى الآن يمكن تصنيف المسارج الفخارية غير المزججة التي وجدت في مواقع الآثار الإسلامية بالمملكة إلى ثلاثة أنماط، هي:

مسارج بيضية الشكل، لها فتحة واسعة في وسطها يصب عبرها الزيت، وفتحة أخرى ضيقة في طرفها الأمامي تخرج منها الفتيلة، وممسك بارز في

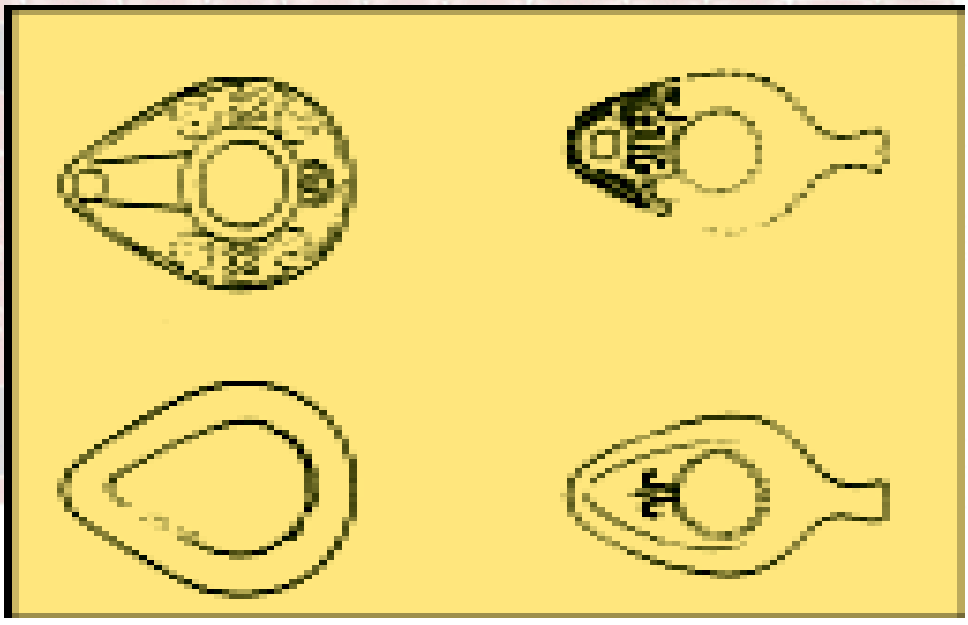

مسارج بيضية الشكل، تعود إلى الفترة الإسلامية المبكرة

طرفهـا الخلفي. وتصـنع هذه المسـارج بالقالب وتزين من الخارج بزخارف بارزة تتكون من عـناصر كتابية منفـذة بالخط الكوفي، وعناصر هـندسية على شكل دوائر ومثلثات وخطوط متنوعة، وعناصر نباتيـة تشمل الفروع المـتشابكة وأوراق العنب وعناقيده. واستخدام هذه المسارج انتشر في بعض المواقع الأثرية الإسلامية بالمملـكة خلال العصـر الأموي وبداية العصـر العباسي، وهي تـعد استمراراً للمسارج البيزنطية. وقد عثر على كسر من هذا الطراز في مواقع الآثار الإسلامية بشمال غرب المملكة.

وهناك نـوع آخر من المسارج علـى شكل إبريق صغير، له رقبة قصيرة وبدن كروي متـصل بصنبـور (بزبوز) قصيـر تخرج منه فتيلة الإنارة. وكان هذا الشكل معروفاً ومسـتخدماً في الجزيرة العـربية خلال العصور السابقة لـلإسلام، وعثر في الفاو على أمثلة له. وهذا النوع من المسارج كان يـنتج إلى عهد قريـب في مراكز صناعة الفخار التقليدي في المنطقة الشرقية وفي مكة والمدينة.

كما عثر على مـسارج على شكل صحن أو طاسة صـغيرة غير عميقة، لها حنيـة في حافتها تثبت فـيها فتيلة الإنارة. وهذا النمط هو أبسط أشكال المسارج الفـخارية، ومايزال ينـتج في مراكز صناعة الفخار التقليدي بالمملكة حتى الآن.

أما المسارج الفخـارية المطلية بطبقة من الطلاء الزجاجـي والتي استخدمت خلال القرون الهجرية الأولى ووجدت في مـواقع الآثار الإسلامـية بالمـملكة فأمثلتها المعروفة قليلة، وأهمها ما وجد في حفرية الربذة. ومن بين ما وجد في الربذة من هذه المـسارج مسرجة مطليـة صنعت بطلاء زجاجي أخضر اللون من نوع طلاء الرصاص، صنعت على شكل صحن صغير غير عميق له قاعدة مستوية وشفة مثـنية للداخل، بهـا طرف مثني توضع فيه فتيلة الإنارة، يقابله من الخلف مقبض يـرتفع قليلاً عـن مستوى شفة السراج. كمـا عثر بالربذة عـلى سراج آخر مطلي بالطلاء القلوي الأزرق، وهو على شكل صحـن صغير الحجم مزود بمسك بارز.

مسرجة من رأس الزور، المنطقة الشرقية

وعثر في رأس الزور على مسرجة صغيرة دائرية الشكل من الفخار، قطرها ٧,٥سم بارتفاع ٢,٥سم، مزججة باللون الأصفر من الداخل والخارج، وعلى الحافة مقبض صغير، وفي الجهة المقابلة منها مثعب صغير.

مسرجة من درب زبيدة

كما عثر في موقع القاع في درب زبيدة على مسرجة صغيرة من الفخار، قطرها ٨سم وارتفاعها ٣سم، مزججة باللون الأخضر من الداخل والخارج، وعلى الحافة مقبض صغير. ومن خلال هذا الوصف نجدها مشابهة لمسرجة رأس الزور.

مسارج الحجر الصابوني. اشتهرت بعض المدن في نجد وتهامة والحجاز، مثل مدينة الحوراء القريبة من أملج، بإنتاج أواني الحجر الصابوني التي منها المسارج. وقد عرفت مراكز إنتاج هذه الأواني في المصادر الجغرافية باسم معادن البرم، نسبة إلى البرمة وهي إناء على شكل قدر يصنع من الفخار أو من الحجر الصابوني. ومسارج الحجر الصابوني خلال القرون الهجرية الأولى، التي وجدت في المواقع الأثرية الإسلامية في مختلف مناطق المملكة، لها عدة أشكال:

أولها، وهو الشكل الأكثر انتشاراً، المسرج المثلث الذي يأخذ شكل القارب الصغير، وهو قليل الارتفاع ويصنع بمقاسات مختلفة، وتستخدم فيه فتيلة واحدة، وله ممسك بارز من الخلف.

وثانيها، مسرج بفتيلتين له شكل مستطيل ينتهي برأسين، وقد عثر على نموذج غير كامل منه في حفرية المابيات.

وثالثها، مسرج بثلاث فتائل له شكل مثلث، ورأسه متصل بممسك بارز،

مسارج شبه مثلثة، من الحجر الصابوني موقع الربذة

وقاعدته عليها ثلاثة رؤوس مثقوبة يخرج من كل منها فتيل للإنارة. وقد عثر على نموذج غير كامل منه في حفرية عَثَّر.

ورابعها، مسرج متعدد الرؤوس، يتكون من فراغ أوسط مستدير يوضع فيه الزيت، محاط برؤوس مثلثة، تشكل مع الجزء الأوسط شكلاً نجمياً. وتستخدم في هذا المسرج مجموعة من الفتائل بعدد الرؤوس المثلثة، ويبدو أن هذا النوع من المسارج كان يعلق في مكان ثابت. وتوجد منه قطعتان غير كاملتين بمتحف قسم الآثار بجامعة الملك سعود عثر عليهما في حفرية الربذة. وتجدر الإشارة إلى أن مسارج الحجر الصابوني النجمية الشكل كانت تستخدم في مناطق جازان ونجران وعسير حتى الماضي القريب، ويحتفظ بعض سكان تلك المناطق بنماذج منها.

مسرجة نجمية من الحجر الصابوني، كانت تستخدم حتى الماضي القريب في مناطق جنوب غرب المملكة

وقد عثر على كسر من النمط الأول من مسارج الحجر الصابوني في عدد من مواقع الآثار الإسلامية بالمملكة، ووجدت نماذج كاملة منها كثيرة العدد في حفرية الربذة، منها مسرجة من الحجر الصابوني شبه دائرية، ذات مقبض وقاعدة، لها قوائم، وهي مشابهة لما عثر عليه في الطائف وتاروت إلا أن المقبض أقل طولاً. كما عثر على قطع تالفة أثناء الصنع من نوعها، وأخرى غير مكتملة التشكيل، في المابيات وبالقرب من الطائف. ففي المابيات عثر على مسرجة من الحجر الصابوني من فتيلتين. وفي عَثَّر وجدت مسارج من الحجر الصابوني مثلثة الشكل، لها فتائل على شكل ثلاثة مرازيب، ومسرجة أخرى كبيرة مثلثة الشكل من الحجر الصابوني أيضاً. وفي عفيف عثر على مجموعة من المسارج مثلثة الشكل، ذات مقبض.

أما الأنماط الأخرى فأمثلتها المعروفة حتى الآن قليلة العدد. وتزيّن مسارج الحجر الصابوني التي يرجع تاريخها إلى القرون الهجرية الأولى من الخارج بزخارف هندسية محفورة، قوامها خطوط طولية ومتقاطعة، ودوائر متكررة ومتماسة ومثلثات متعاقبة أو متداخلة، وأشكال ضفائر.

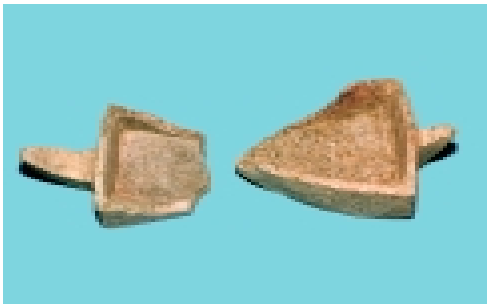

مسارج مثلثة من عفيف

المسارج الزجاجية. يصنع من الزجاج نوعان من المسارج، نوع يعلق وآخر يحمل باليد. ولم نجد فيما بين أيدينا من معلومات منشورة ما يؤكد العثور على كسر أو قطع كاملة منها في مواقع الآثار الإسلامية بالمملكة، على الرغم من أن المصادر تشير إلى استخدامها في تلك الفترة، خاصة في إنارة الحرمين. فقد ذكر ابن زبالة، الذي عاش في القرن الثاني الهجري، أن قناديل الحرم النبوي في زمانه كانت مائتين وتسعين قنديلاً. وذكر أيضاً أن زيت قناديل المسجد يحمل من الشام، وأن رزق صاحب زيت المسجد ثلاثة دنانير تجرى عليه في كل شهر من بيت المال، وعليه فيها ما تكسر من القناديل. وذكر الأزرقي، وهو من أهل القرن الثالث الهجري، أن قناديل المسجد الحرام أربعمائة وخمسة وخمسون قنديلاً.

وأما المسارج التي كانت مستخدمة بعد القرن السادس الهجري، فالمعلومات الأثرية المتوافرة عنها قليلة جداً وتكاد تكون معدومة. ويمكن القول إن المسارج التي كانت تستخدم في مناطق المملكة في الماضي القريب تمثل استمراراً لتلك المسارج، خاصة المصنوعة من الفخار المزجج وغير المزجج ومن الحجر الصابوني. وبالإضافة إلى المسارج الفخارية والحجرية استخدمت في العصور المتأخرة الشمعدانات والثريات التي تضاء بالشمع، والفوانيس المصنوعة من الزجاج والمعدن. وكانت الفوانيس تضاء في بادئ الأمر بالزيوت ثم استخدم فيها الكيروسين.

وأما الشمعدانات فأكثرها يصنع من المعدن، والمعلومات الأثرية المتوافرة عنها من مواقع الآثار الإسلامية بالمملكة قليلة جداً، وقد عثر في حفرية الربذة على قضيب مصنوع من البرونز يعتقد بأنه ساق شمعدان. واستخدام الشمعدانات للإضاءة بالشمع في بعض مناطق المملكة كان معروفاً خلال العصور الإسلامية المبكرة وخاصة في الحرمين. فقد أشار ابن النجار -وهو مولودٌ في القرن السادس الهجري- إلى الشمع الذي كان يرسل من مصر إلى الحرم المدني، وذكر أن عدده في زمانه مائة وستون شمعة بين كبار وصغار تشعل بالإضافة إلى القناديل في المناسبات.